

دلالة خاصة في مقام تختلف عن نسق آخر ذى دلالة أخرى في مقام آخر (١٠٦) . ويسوق لذلك ثلاثة استشهادات من القرآن الكريم تكاد المفردات المتعاطفة فيها تكون واحدة ، لكن يختلف ترتيبها فيما بينها من سياق لآخر ، وهذا هو بيت القصيد . الاستشهاد الأول قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتَهُ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [ سورة عبس : ٣٤ - ٣٧ ] .

الاستشهاد الثاني قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ الْمَجْرُمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ [ سورة المعارج : ١١ - ١٤ ] .

الاستشهاد الثالث قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [ سورة التوبة : ٢٤ ] .

ففى الاستشهاد الأول ابتداء نسق العطف بالأخ ، وانتهى بالبنين ، على حين جاء ذكر البنين أولاً فى الاستشهاد الثانى . والسبب فى ذلك اختلاف مقام التعبير فالنسق فى الأول يعطى دلالة معينة هى الترقى فى الحب والشفقة ، فبدأ بالأقل وانتهى بالأكثر ، وذلك ما عبر عنه الزمخشري بقوله : « وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب ، كأنه قال : يفر من أخيه بل من أبويه ، بل من صاحبه وبنيه » . وهكذا يشغل الإنسان بأمر نفسه فى ذلك اليوم ، وتستبد به الأنانية حتى تبلغ أقصى درجاتها فى الفرار حتى عن فلذات أكباده . وليس الأمر كذلك فى الاستشهاد الثانى . صحيح أنه وصّف كذلك لهول يوم القيامة كما هو الحال فى الآيات السابقة ، لكن مقام التعبير هنا مبين لمقام التعبير هناك . هناك الانكفاء على الذات ، والنكوص عن نجدة المستغيث من أقرب الأقرباء إليه ، وهنا الخروج من الذات والبحث عن المنقذ والمغيث ، فيبدأ